المقامات العراقية
دراسة تاريخية

م . د . هيثم شعوبي إبراهيم
الجامعة المستنصرية– كلية التربية الأساسية

مقدمــة :

المقام العراقي فن إخراج الأنغام ومزجها في سبيكة لحنية، وله قواعد وأصول لانتقال القارئ من نغم الى آخر ويكون للارتجال الغنائي في الأساليب الأدائية المختلفة نصيب فيه ومثلما اختلف في ادائه اختلف في نشأته الأولى وجذوره التاريخية .

لقد تضاربت الآراء في اصل المقامات في وادي الرافدين وآلاتها الموسيقية فيذكر السيد عبد الكريم العلاف في كتابه(الطرب عند العرب) أنّ بعض الباحثين ينسبها الى العهد الاشوري وينسبها بعضهم الى الكلدانيين في بابل حين مارسها الموكلون على مقامات الآلهة والزموا بأمر الملك الكلداني نبوخذ نصر كل من يسمع انغامها أن يخر راكعاً ويسجد لتمثال ألإله الذهبي الذي اقامه الملك نبوخذ نصر نفسه وقد عوقب بالموت حرقاً كل من رفض الامتثال لأوامره المقدسة هذه ، ونسبها بعض الباحثين الى العصر العباسي مستنداً إلى ما جاء في بعض المخطوطات والمؤلفات العربية التي سجلت اسماء المقامات وعلاقتها بالغناء وبعض الباحثين ارجعها الى ٣٠٠ او ٤٠٠ عام وبعضهم وهبها الى المغول والعثمانيين والفرس .

والذي يهمنا ذكره ان المقام العراقي وضعه أهل العراق منذ القدم وعلى الرغم من السنين والعصور التي مرت عليه ولم يتبدل او يتغير الا للأحسن . وواضعوه خبراء افاضل ومنظرون عظام فهو فن وعلم وأدب وتاريخ يفتخر به العراقيون لانه يحمل اسم بلدهم العراق ويقدم باسم (المقام العراقي) في كل مكان (اذاعة – تلفزيون – مهرجان) فهو الغناء المحبب لهم ويدخل في جميع حياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية(المدائح النبوية ، التهاليل ، التلاوة ، الاذان ، الاذكار ، المدائح ، ممارسة الرياضة مثل الزورخانة) .

فهو صياغة وصناعة عراقية بحتة لجهابذة استطاعوا حفر اسمائهم في هذا الشكل الفني الغنائي العريق الذي توارثوه جيلاً بعد جيل في دراية واعية وحرص شديد في المحافظة عليه .

كما حرصوا على تجديده بأصوات متمكنة جعلت منه تراثاً غزيراً للأجيال القادمة فهو فن قابل للتطور غير قابل للتغيير تحكمه قواعد وأصول فهو نتاج العقل العراقي * المبدع الذي وضعت مساراته اللحنية في مدة ازدهر فيه العطاء لهذا العقل النير الثر .

مسوغات البحث

تعدّ المقامات العراقية منهلاً اصيلاً لتراث العراق الغنائي ، اهتم بها اكثر الباحثين والدارسين في علوم الموسيقى واختلفوا في تكويناتها الأولى ونشأتها والفت الكتب على الرغم من قلتها لمعرفة تاريخها إذاكتفت هذه المؤلفات ببعض الإشارات الى تاريخها فمنهم من ارجعها الى بدايات الخلافة العباسية ومنهم الى ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة من الآن وبعضهم الى ١٦٠ عاماً من الآن ونسبها آخرون الى العثمانيين او الفرس وكل هذه الآراء تستند الى مسوغات قائليها ولغرض معرفة جذور هذا الفن الأصيل سيقوم الباحث بدراسة معمقة لمعرفة الحلقات الأولى لتاريخ المقام والتعريف به كشكل غناسيقي وبيان أهميته في اغناء الموسيقى العربية بالخزين النغمي الذي يختزنه هذا اللون وابراز أهميته بين قوالب الموسيقى العربية كونه فناً غنائياً رصيناً ، كذلك سيقوم الباحث بمراجعة جميع المصادر والمراجع التي ورد فيها هذا القالب ويناقش الآراء والأفكار التي وردت في هذه المصادر والخروج بنتائج تؤكد عراقية هذا القالب واصالته ودور الخبراء والمنظرين في تأكيد عراقيته المتجذرة في الاعماق .

أهمية البحث

تتركز أهداف البحث فيما يأتي :-

١- تقديم تعريف شامل بالمقام العراقي كشكل غناسيقي .

* المقام العراقي مؤلفة غناسيقية في انتقال القارئ من نغم الى أخر ويكون للارتجال نصيب فيه ، وهو قالب عرف في العراق دون سواه وعرف باسمه وهو تراث العراق المتجدد في الاعماق ...

(الباحث)

٢- تأكيد اصالة فن المقام العراقي وعراقيته .

٣- التعريف بأهم الآراء والاقكار لكبار خبرائه ومناقشتها .

٤- بيان أهمية هذا القالب كتراث أصيل لشعب عريق .

هدف البحث

يهدف البحث الى معرفة جذور المقام العراقي عبر تحليل آراء الباحثين والخبراء بما يساهم في تأكيد هوية المقام وانتمائه .

منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج العلمي التاريخي لتحليل النصوص الواردة في المؤلفات والكتب المتنوعة في المصادر والمراجع المختلفة في تاريخ الموسيقى العربية ودراستها ومناقشتها .

مصادر البحث

اعتمد الباحث على المصادر الرئيسة في التراث العربي والمراجع الثانوية الحديثة التي كتبت عن هذا القالب الغناسيقي (كتاب المقام العراقي **للحاج هاشم الرجب** وكتاب دليل الأنغام لطلاب المقام **لشعوبي ابراهيم** وكتب **الشيخ جلال الحنفي** ومؤلفات **عبد الوهاب بلال وحسين الأعظمي وحمودي الوردي وعبد الكريم العلاف** وغيرهم من المتعمقين والضالعين من أصول هذا الفن قواعده .

حدود البحث

تنحصر حدود البحث بما يأتي :-

١- **الحدود الزمانية** : وهي المدة التقريبة لولادة هذا القالب الرصين .

٢- **الحدود المكانية** : مكان ولادة هذا القالب وانتشاره في بعض المدن العراقية .

٣- **الحدود البشرية** : وتتركز حول المؤلفات التي تناولت هذا الفن من المختصين الخبراء .

* **الحدود الموضوعية** : وهي المقامات العراقية وأهميتها في تراث الموسيقى العراقية وتأثيراتها النغمية .

المنظور النظري

* المقام العراقي

ومن ابرز قوالب او صيغ الغناء في العراق هو المقام العراقي النابع من تراث المدينة ، ففي المدينة تنشأ كلّ الصيغ الفنية والآلات الموسيقية وتتطور وتستمر في الاستعمال ، وتصبح جزءاً من الحياة عبر العصور يتوارثها الشعب من جيل الى جيل لاصالتها وثبات أصولها المتوارثة من الماضي العريق والحديث، على الرغم مما حدث من تغير في نمط الحياة من الناحية الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

والمقام العراقي قد رافق شعب العراق من جيل الى جيل في مختلف المناسبات والأحوال عبر تاريخه الطويل بسبب تأثيره في نفوس أبناء الشعب وظل يتماشى حتى يومنا هذا كونه تراثاً له اصالته وهويته العراقية ، وهو الغناء المحبب لنفوس العراقيين والمنهل الرئيسي لكل نغم تحدثت عنه الأجيال الماضية والحاضرة فاشتاقت اليه القلوب وأصغت اليه الآذان .

وعلى الرغم من قلة الذين كتبوا عن فن المقام وتاريخه تبقى كتبهم مرجعاً ومصدراً رصيناً لكل الذين كتبوا بعدهم وأول من كتب عن المقام هو الشيخ **جلال الحنفي**[*] في مجلة(الفتح)التي أصدرها في ثلاثينات القرن الماضي وصدر له كتاباً عام ١٩٦٤م بعنوان(المغنون البغداديون والمقام العراقي)وتضمن الكتاب تعريفاً بالمقام وأسماءالقراء والمواسقة الذين عملوا بالمقام وذكراً للرعيل الأول لهذا الفن.

وألف **هاشم الرجب**[**] كتاب(المقام العراقي)الذي صدر عام ١٩٦١ ثم اعقبه في التأليف الاستاذ **شعوبي ابراهيم**[***] كتاباً بعنوان(دليل الانغام لطلاب المقام) ويعد هذا المؤلف منهجاً اكاديمياً لتعليم المقام وكتاب حمودي الوردي الذي اسماه الغناء العراقي .

* تعريف المقام اصطلاحاً وشكلاً

[*] الشيخ جلال الحنفي : هو باحث تراثي وخبير في شؤون المقام العراقي له العديد من المؤلفات في هذا المجال .

[**] هاشم الرجب : هو خبير المقامات العراقية وعازف السنطور وله العديد من المؤلفات في المقام العراقي .

[***] شعوبي ابراهيم: مدرس المقام العراقي وعازف الجوزة الشهير له العديد من المؤلفات في المقام العراقي .

والمقام لغة مواقع القدميين او ما يعتليه الشاعر واصطلاحاً هو سلم موسيقي تتوالى الابعاد المحصورة بين نغماته بشكل معين ، واي تغير يحصل في نظام هذه الابعاد يأتي عنه مقام آخر .

والمقامات جمع مقامه وهي المجلس من الناس وتطلق المقامات على الخطب من المنظوم او المنشور كمقامات الحريري والهمذاني .

ويعرف **الحاج هاشم الرجب**[١] المقام (هو مجموعة أنغام منسجمة بعضها مع بعض له ابتداء يسمى(بالتحرير) وانتهاء يسمى(بالتسليم) وما بين التحرير والتسليم (التسلوم) مجموعة من الاوصال والميانات والقرارات يرتلها البارع من المغنيين دون الخروج على ذلك الانسجام المطبوع) .

ويعرفه **الشيخ جلال الحنفي**[٢] (بالقطعة الغنائية ذات الاطار المؤلف من مقدمة وخاتمة وما بينهما لمه من الانغام تتناسق ارتفاعاً وانخفاضاً ونغماً وايقاعاً، وتكون هناك مقروءات من الفصيح او العامي) .

وما زال الغناء العراقي شاخصاً في مقاماته الرصينة ذات المنابع الاصيلة وهنا لابد من القول ان المقام لم يكن من صنع العوام ولا من فعل الجهلة بالموسيقى والانغام والا كان خاصاً بعموم الناس يطربون له وحدهم في سامعيه .

ولم يبتعد الأستاذ **شعوبي ابراهيم** بتعريفه للمقام عن الذين سبقوه فعرفه بقوله (هو مؤلفه غنائية له قواعد محددة لانتقال المغني من نغم الى آخر ويكون للارتجال نصيب فيه) .

وعرفها الناقد الموسيقي **عبد الوهاب بلال**[٣] (المقامات العراقية هي لون من الوان الغناء الشعبي العربي في العراق ، التي صيغت الحانها في العراق ، فغناها المطربون البغداديون ، والمقامات العراقية هي مجموعة من الألحان الشعبية المنسجمة التي تعددت

---

[١] المقام العراقي : منشورات مكتبة المثنى – بغداد . ط ١ ، ص ٤٩ .

[٢] لمحات عن المقام العراقي : المركز الدولي لدراسات الموسيقى التقليدية ، بغداد ، ١٩٨٣ .

[٣] عالم الفكر : المجلد السادس ، العدد الأول ، ص ٣٤ .

انغامها وتنوعت الوانها مما أصبح لها الأثر الكبير في الغناء العراقي الذي له الصدارة على جميع انواع الغناء في البلاد) .

ولم يختلف تعريف **عبد الوهاب بلال** للمقام العراقي عن الذين سبقوه وهذا تأكيد ان المقامات العراقية غير قابلة للتغير بل قابلة للتطوير في طريقة الأداء .

وقد استطاعات المقامات العراقية عبر تاريخها الطويل ان تبلور الشخصية البغدادية من خلال رؤى نغمية اصيلة يتجسد فيها الحس البغدادي الأصيل .

والمقام العراقي غامض ومبهم لدى كثير من الناس والفنانين لصعوبته وكثرته وتعدد اوصاله ، فلم يقدم أحد على الغوص في بحره والتأليف فيه إذ يشترط في المؤلف ان يكون ملماً الماماً بجميع المقامات واوصالها وله معرفة في الموسيقى واصولها ويحسن ان يكون عازفاً على آلة موسيقية واحدة في الأقل ومثقفاً ثقافة تجعله قادراً على التأليف والتعبير عن افكاره الموسيقية والغنائية .

ولصعوبة توافر هذه الشروط في قراء المقام ولعدم وجود مؤلف في هذا الفن انتقل المقام من جيل الى جيل ووصل الينا شفاهاً .

ويرى **حسين الأعظمي**[1] (ان المقام العراقي هو مجموعة اجناس موسيقية وغنائية تتصل بعضها ببعض لتكوين قوانين وعناصر وأصول حلت الغازها .. بيد أن المقام العراقي فضلاً عن وجود هذه الأجناس هنا وهناك في ادائه ، يعدّ نمطاً معيناً من النظام الدقيق ذي الأصول الادائية الرصينة ، وهو عمل حين تمتزج مكوناته جميعاً للحصول على الوحدة المتكاملة في بنائه وقابل للتطوير) .

والمقام العراقي هو نمط من الغناء عرف في بغداد وفي المدن الشمالية (الموصل – كركوك) .

وأهم ما يميز فن العراق هو المقام العراقي الأصيل الذي لا يغنيه سوى أهل العراق .

[1] المقام العراقي الى اين : الطبعة الأولى . مطبعة الجامعة الأردنية / عمان .

وعرفه **محمد القبنجي** [*] (هو مجموعة انغام مترابطة بعضها ببعض ومنسجمة فيما بينها لها بداية تسمى (التحرير) ونهاية تسمى (التسليم) وما بين التحرير والتسليم مجموعة قطع ووصلات وميانات يقرأها المغنون دون الخروج على الصيغة الغنائية التقليدية) .

* تاريخ المقام

لقد كثرت الآراء حول تاريخ المقامات العراقية الغنائية ولا يزال الجدل محتدماً بين محبيه وقرائه المجتهدين والباحثين في شؤونه وجذوره التاريخية لمعرفة بداياته ونشأته الأولى كشكل غيناسيقي .هذا الفن العريق في افاقه الرحبة التي تبلورت بقوة في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين التي ظهرت ملامحه العالية من خلال قراء مجتهدين وبارعين في هذا الفن ..

ولقد بقي السؤال يكرر نفسه دون اجابة بين محبيه وطلابه الى حقبة قريبة تناولته الكتب والمجلات والصحافة لمعرفة نشأته الأولى من خلال منظرين وقراء لهذا الشكل الغنائي الذي انتشر شكلاً ومضموناً في العراق .. وعرف بين القوالب الغنائية باسم المقام العراقي ...

ان تعدد الأقاويل والآراء المختلفة حول هذا الفن واختفاء بعض حلقاته كادت تطمس معالمه التاريخية وتشكك في هويته الوطنية فذهب بعضهم بارآء وافكار تعتمد الاجتهادات الذاتية وبينما اعتمد بعضهم على الأسماء الواردة في المخطوطات العربية للمقامات ومنهم من ارجعه الى مدة الخلافة العباسية والآخر الى (العصملية) وجعله الآخرون فارسياً وبعضهم ارجعه الى مدة ١٦٠- ١٨٠ عاماً من الآن وكل يدلي بدلوه .

وجميع هذه الآراء والتحاليل يجب ان تخضع لدراسة واعيه وتمحيص في معرفة أصل هذا الفن العريق وجذوره .

[*] محمد القبنجي : هو رائد المقام العراقي وغريد الرافدين .

ان المتتبع لتاريخ التنظير الموسيقي خلال فترة الازدهار الحضاري في الدولة العربية الاسلامية سيجد الكثير من المصطلحات والمفاهيم الموسيقية مثل (الحلق) و(الصوت) التي وردت في كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ، والمقام في كتاب الادوار للارموي .

لقد قدم الباحثون المجتهدون في هذا المضمار امثال **الشيخ جلال الحنفي والحاج هاشم الرجب وشعوبي ابراهيم** وغيرهم من المجتهدين بهذا الفن كتباً عنه وشرحاً مفصلاً عن اصوله وطريقة ادائه وهنا نفرد لآرائهم خلاصة لكل واحد منهم حتى نصل الى نتيجة لمعرفة تاريخ هذا الفن الأصيل .

آراء الخبراء والمختصين في مجال المقام العراقي

رأي الشيخ جلال الحنفي

يعد الشيخ جلال الحنفي واحداً من ابرز الذين تناولوا فن المقام العراقي الذي خصه بمؤلفاته المتعددة ونشر بعض آرائه في مجلة الفتح التي يرأس تحريرها منذ عام ١٩٣٩ (بانه نمط من الغناء عرف في بغداد وبعض المدن العراقية (الموصل – كركوك) مع اختلاف يسير بين مغني هذه المدن وفي تعاطيه وفي بعض تسمياته .[١]

ومما تجدر الاشارة اليه ان كلمة المقام عرفت في العراق في المدونات المكتوبة اوائل القرن الثامن الهجري .

ويرى الحنفي ان تلقيب المقام بالمقام العراقي منسوباً الى العراق دون غيره من البلدان الأخرى انما نشأ ذلك في وقت متأخر وكان هذا التلقيب على ما يبدو قد وقع من حكام العراق الأتراك الذين حكموا كثيراً من ارجاء البلاد العربية .

ان قلة المصادر المؤلفة في تاريخ الأنغام خلال الحقبة العثمانية وقبلها العباسية جعلت هذا الفن بحاجة الى الدراسة والتمعن في جذوره الأولى ..

وهنا يذكر (فارمر) في كتابه تاريخ الموسيقى العربية ان لفظة مقام وردت في مؤلفات الارموي وهو من منظري الموسيقى العربية في القرن السابع الهجري في كتابه المشهور (الأدوار) الذي حققه **الحاج هاشم الرجب** .

---

[١] لمحات عن المقام العراقي : المركز الدولي لدراسات الموسيقى ، ص ٣ .

وهنا يقول الحنفي [٢].. ان كلمة مقام لا تزال مستعملة لدى الاتراك المسلمين في الصين وهم يلفظونها بلفظ (مكام) وهنا يرد الشيخ جلال قائمة باسماء قراء المقام العراقي تبدأ باسم ..

الاسم	المدينة	الولادة	الممات
١- عبد الرحمن ولي / الملاوي	كفري	١٧٤٤	١٨٣٠
٢-ماشا الله المندلاوي	بغداد	١٧٧٩	١٨٥١
٣- حسن البصير الشيخلي	بغداد	١٧٩٠	١٨٧١
٤- رحمة الله شلتاغ	بغداد	١٧٩٣	١٨٧١
٥- حمادي الطويل	بغداد	١٧٩٢	١٨٧١

والقائمة تطول باسماء القراء ولم تتجاوز تواريخها منتصف القرن الثامن عشر الميلادي وهذا يجرنا الى ان المقام العراقي يمتد الى اعمق من هذه المدة التي ظهرت بها هذه الأسماء التي اوردها الحنفي في كتابه .

ويرى مجتهد آخر ان جذور المقامات العراقية غائرة في القدم وقد اخذ كل مقام تسميته وطريقة أدائه ونغمته الخاصة به بعد ان ازدهر الغناء وبرز كثير من اعلام الموسيقى والغناء في العصر العباسي .

وهنا تبرز آراء **شعوبي ابراهيم** في كتابه المنهجي (دليل الانغام لطلاب المقام) في مقدمة عن تاريخ هذا الفن العريق بقوله (يرجع تاريخ المقام العراقي الى العصر الأول للخلافة العباسية وهو الغناء المحبب لنفوس العراقيين والمقام يعد من المنابع النغمية الأصيلة الذي تحدثت عنه الأجيال الماضية والحاضرة فاشتاقت اليه القلوب وأصغت اليه الأذان) جاءتنا اخبار من الكتب الخطية والمؤلفة من الفلاسفة واعلام الموسيقى انذاك ويستشهد **شعوبي ابراهيم** بما قاله الفيلسوف الرئيس ابن سينا من (ان بعض النغمات يجب ان تخصص لفترات معينة من النهار والليل ومن الضروري ان يعزف الموسيقار في الصبح الكاذب نغمة (راهوي) وفي الصبح الصادق(حسيني) وفي الشروق (رست) وفي الضحى (بوسليك) وفي نصف النهار (زنكولا) وفي الظهر (عشاق) وبين الصلاتين (حجاز) وفي العصر (عراق) وفي الغروب (اصفهان) وفي المغرب (نوى) وفي العشاء (يزرك) وعند النوم(مخالف).

[٢] نفس المصدر .

ويؤكد **شعوبي ابراهيم** في مكان أخر من خلال مقدمة كتابه(دليل الانغام) على رأي صفي الدين الارموي المتوفى سنة ١٢٩٤م في الصفحة ٢٣٢ من كتاب تاريخ الموسيقى العربية (لفارمر) بقوله (أعلم ان كل شد من الشدود له تأثير في النفس ملذاً الا انها مخالفة فمنها ما تؤثر قوة وشجاعة وبسطاً وهي ثلاثة عشاق وبوسلبك ونوى واما رست ونوروز وعراق واصفهان فأنها تبسط النفس بسطاً لذيذاً لطيفاً ... الخ .

وضمّن **شعوبي ابراهيم** كتابه عن تاريخ المقام ما جاء في ارجوزة الاربلي التي وردت في كتابي **عباس العزاوي**[١] **وثامر عبد الحسن** [٢].

وفرعوا من كل شد بن نغم سموه اوازاً فبعض قد رسم
الرست والعراق نيروز ولم ينقل له خلف بذالماي حكم
والآخران لهما الشهنـاز للبوسليك والنوى الحجـاز
وللحسيني وعشاق نقـل كوشت والبعض مخالف نقل

وهنا يرى **شعوبي ابراهيم** ان ورود هذه الاسماء في اقوال الفلاسفة والمنظرين من الموسيقيين تأكيد عراقة هذا الفن وعمق جذوره لهذه المدة ويورد نموذج أخر على عباسية هذا اللون من الغناء بقوله (وروي ان الخليفة المعتمد قد سأل ابن خرداذبة ، ماصفات المغني الحاذق ؟ اجابه ابن خرداذبة (المغني الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من انفاسه ولطف في اختلاسه وتفرع في اجناسه) ...

وهنا قال **شعوبي ابراهيم** محللاً هذا النص التاريخي بالاجابات الذكية التي تنطبق على فن المقام مسوغاً ان بعض القراء لا يتمكنون من الوصول بالميانة الى الطبقات العليا من السلم لكننا نراهم يختلسون هذه الميانات اختلاساً فنياً رائعاً والمغني القارئ الذي لم يكن له نفس طويل لا يتمكن من غناء المقام ولا يوجد غناء تتفرع فيه اجناس كثيرة مثل المقام ..

والمقام العراقي مؤلفه غناسيقية في انتقال القارئ من نغم الى أخر له قواعد وأصول ادائية في مسارات لحنية أبتكره العراقيون واحبوه ..

وجاء في كتاب مقاصد الالحان **لكمال الدين** أبي الفضائل **عبد القادر المراغي** (الحمد لله الذي زين الاصوات بطيب الالحان والنغمات وسيرها دائرة في الشعب والمقامات).

---

[١] الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمكان : بغداد ١٩٥١ .
[٢] المقام العراقي : دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٣١ .

فقد ذكرت هنا الالحان والنغمات والشعب والمقامات فنستفيد من هذا القول ان للمقامات شعباً وانها قديمة قدم المقام .

وقد جاء في كتاب الدر النقي في علم الموسيقى **للشيخ احمد بن عبد الرحمن الرفاعي** وتعليق **الشيخ جلال الحنفي** ... بقوله : ان هذه الرسالة ذات الصفحات اليسيرة عن المقام العراقي كتبها رجل عربي من اهل الموصل كان ذا المام بالمقام والاشتغال فيه والمتوفى في نحو ١١٥٠ هـ .

قال **الرفاعي** في مقدمة كتابه (الحمد لله الذي منّ علينا بدين الاسلام وهدانا بنبيه سيد الانام وشرفنا على كثير من خلق بمزيد من الاكرام والانعام وكلفنا بالعبادة واقام كل فرد منا بمقام الى عبارة – واوعدنا الدرجات العلى وجعل كل ذي لب محيراً في اوج عظمته ... ويرد في القول في هذا النص اسماء بعض المقامات مثل الاصفهان والعراق والحجاز والنوروز ... الخ

وهنا يؤكد **شعوبي ابراهيم** في هذا النماذج عمق الجذور لهذا الفن دون معرفة قرائه في تلك المدة وطريقة ادائهم ويفند في نهاية مقدمة كتابه الذين يذهبون بالمقام العراقي الى ٣٠٠ عام على ظهوره او اكتشافه ...

ويذهب **عبد الوهاب بلال** في مجلة الفكر (المجلد السادس العدد الأول في ستينات القرن الماضي) في دراسة فن المقامات العراقية مذكراً ان كثيراً من تاريخ الحياة الموسيقية والغنائية في العراق مجهول فهو بحاجة الى البحث الجاد والاستقصاء لاستجلاء الحقيقة التاريخية مفنداً الرأي القائل في المقامات التي يرجع تاريخها الى ٣٠٠ عام ويخطئ الرأي الآخر الذي زعم ان المقامات العراقية تعود الى اكثر من ١٨٠ عاماً مضت..

وهو يؤيد ما جاء به **شعوبي ابراهيم** في عباسية هذا الشكل الغنائي ويستشهد بكثير من النصوص المحققة والتراثية مشيراً الى كتاب مقاصد الالحان الذي الفه المراغي والذي طبع سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م والذي ورد فيه اسم المقام ((الحمد لله الذي زين الأصوات بطيب الالحان والنغمات وسيرها دائرة بين الشعب والمقامات .))

ويؤكد ارجوزة الاربلي التي نظمها في سنة ١٣٢٨م .

وتشير دراسة **عبد الوهاب بلال** وهو موسيقي مجتهد الى اسماء المقامات واسماء مخترعيها كمقام الابراهيمي الذي ينسب الى المغني ابراهيم الموصلي الذي عاش ايام الخليفة هارون الرشيد

الذي توفي عام ١٨٨ هـ ومقام المنصوري الذي ينسب الى المغني منصور بن زلزل الذي عاش في العصر العباسي ...

وبهذه الدراسة يتطابق رأي الناقد **عبد الوهاب بلال** مع الخبير **شعوبي ابراهيم** في عباسية هذا اللون الغنائي دون معرفة كثير عن حلقاته في تلك المدة ...

وذهب السيد **ثامر عبد الحسن العامري** في كتابه المقام العراقي وهو رجل جمع النصوص القديمة من خلال دراسة مستفيضة تطابق ما جاء به **شعوبي ابراهيم وعبد الوهاب بلال** من خلال ارجاع هذا الفن الى المدة العباسية مستشهداً بالكتب والمخطوطات الآتية :-

١- كتاب يحيى بن المنجم المتوفى ٣٠٠ هـ .

٢- كتاب الموسيقى الكبير للفارابي المتوفى ٣٣٩ هـ .

٣- كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى ٤٢٩ هـ .

٤- كتاب الادوار للارموي المتوفى ٦٩٣ هـ .

وارجوزة الاربلي والرسالة الفتحية لعبد الحميد اللاذقي وفي هذا الكتاب تأكيد عراقية وعباسية هذا الشكل الغنائي من خلال الاسماء التي وردت في هذه المخطوطات .

رأي الحاج هاشم الرجب :

وينفرد **الحاج هاشم الرجب** برائيه عن فن المقام ونشأته الأولى من خلال كتابه الرصين المقام العراقي ويعد المقام هو الغناء الوحيد المحبب الى نفوس الجمهور العراقي من خلال تمتعهم بقرائه المجتهدين عن طريق البيوتات المترفة والاندية والمقاهي والمجالس وفي المناقب النبوية والمواليد ومناسبات الافراح وفي نوادي الرياضة ولاسيما في رياضة الزورخانة .

ويحدد **الحاج هاشم الرجب**[١] تاريخ هذا الفن الى زمن لا يرتقي اكثر من ٣٠٠ او ٤٠٠ سنة ويؤكد رأيه بالأدلة الآتية :-

١- ان المقام العراقي مؤلف من عقد موسيقية ثلاثية ورباعية وخماسية وسداسية وقليل منها ساعية ، اما الغناء في العصر العباسي فكان ثمانياً وهو يشبه غناء الموشحات الاندلسية .

[١] المقام العراقي : مطبعة المعارف – بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٤٠-٤٧ بتصرف .

٢- ان الكتب الموسيقية القديمة المطبوعة منها والخطية قد ذكر مؤلفوها المقامات والانغام وتبينوا كيفية عزفها على الآلات الموسيقية وبحثوا في الايقاع وانواعه بحثاً وافياً الا اننا لا نجد فيها ما يشبه مقامنا اليوم .

وكتاب النغم لابن المنجم المتوفى سنة ٣٠٠ هـ فيه بحث واف عن النغم المؤتلف منه والمتنافر وكتاب الموسيقى الكبير للفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ فيه تحليل للانغام المؤتلفة والمتنافرة وفي الايقاع وانواعه وكتاب الموسيقى لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٩ هـ فيه بحث واف عن المقامات والانغام والايقاع الا اننا لا نجد في هذه الكتب ما يشبه مقامنا اليوم .

والمقامات في كتاب الادوار للارموي المتوفى سنة ٦٩٣ هـ احد عشر مقاماً :

١- عشاق ٢- نوى ٣- بوسليك ٤- راست ٥- عراق ٦- ريرافكند ٧- يزرك ٨- زنكولة ٩- راهوى ١٠- حسيني ١١- حجازي .

واما الاوزات * فهي ستة :-

١- كوشت ٢- كردانية ٣- نوروز ٤- سلمان ٥- مابه ٦- شهناز .

فهذه المقامات والاوزات بعض اسمائها موجود الآن عندنا كمقامات واوصال الا انها لا تشبه مقاماتنا اذ لو كانت مثلها لكنا نراها مفصلة بتحاريرها واوصالها ومياناتها في الكتاب المذكور .

وينفرد **الحاج هاشم الرجب** في كتابه بأن الانغام والاوزات التي وردت في المخطوطات العربية القديمة في كتاب الادوار للارموي وارجوزة الاربلي ونجدها وغيرها من كتب المنظرين تختلف عن مقاماتنا اليوم اذ ان المقامات في زمانه كانت تعزف إذ قال ((بعض المقامات تستخرج من الثلث وبعضها من الربع وبعضها الآخر من السدس وبعضها من الخمس... الخ

ويقول **الحاج هاشم الرجب** في كتابه ان المقامات في عصر اللاذقي ليست بالمقامات الموجودة الآن انها مقامات تعزف ولا تغنى فلو كانت هي مقاماتنا الحالية نفسها لحللها وذكر تحاريرها ومياناتها واوصالها .

* الاوزات : جمع اواز والاواز هو نغم مكون من نغمتين كما جاء في ارجوزة الاربلي إذ قال :-

وفرعوا من كل شدين نغم سموه اوزا فبعض قد رسم

ويلخص **الحاج هاشم الرجب** بأن المقامات العراقية التي نسمعها اليوم ليست منحدرة من العصر العباسي بل ان زمنها لا يرتقي الى اكثر من ٣٠٠ او ٤٠٠ سنة قبل الآن وقد الفها ورتبها مغنون وموسيقيون عراقيون وقد نقلت الينا بطريقة النقل من جيل الى جيل .

والمقام العراقي هو لون غنائي موطنه العراق اما المقامات في البلاد العربية فهي موسيقى تعزف على الآلات وليست غنائية فمقام النواثر والسوزناك مثلاً مقامات موسيقية اما المنصوري والحليلاوي والخنبات فمقامات غنائية تغنى في العراق فقط اما المقامات في العراق فموطنها بغداد والموصل وكركوك ...

ونستخلص من الآراء الواردة لخبراء المقام والمجتهدين فيه ان هناك اكثر من رأي في ذلك وكل ينحاز في رأيه الى هذا الفن من خلال حجج وادلة ...

وفي الآونة الأخيرة وردت بعض الآراء الغريبة والخطرة الى جعل المقام عصملياً او فارسياً وهنا يجب ان تستوقف هذه الآراء التي تنم على جهل اصحابها الذين لا يمتون الى هذا الحقل بصلة وبعد البحث والتمعن تبين ان هذا الفن الغنائي تبلور بشكله النهائي في مدة الاحتلال العثماني على ايدي خبراء وحناجر عراقية استطاعت ان تنهض بهذا الشكل الذي يعد منهلاً نغمياً لتراث العراق وهذا ما اكده خبراء المقام والمشتغلون به .

وان المصطلحات التي وردت في المخطوطات العربية ليس لها علاقة بهذا الفن فهو وليد مدة الاحتلال العثماني على يد خبراء عراقيين استطاعوا ان يخلصوا في عملهم بدقة لصياغة هذا اللون العريق التي تمتد جذوره الى تراث العراق على مر العصور .

فهناك كثير من المقامات التي تحمل اسماءً عربية مثل (البيات ، والنوى، الحسيني، الصبا ، الحكيمي ، الجبوري ، الجمال ، المخالف ، الحويزاوي ، الابراهيمي ، المنصوري ، اليست هذه اسماء عراقية تمثل اشخاصاً ومدناً عراقية وعشائر معروفة اما الاسماء الاعجمية الاخرى في المقام فهي نتيجة الاحتلال والتلاقح الحضاري لهذه الشعوب التي أثرت وتأثرت بفنون العراق ، ونرد على هذه الآراء التي ترجع المقام الى العثمانيين (العصمليين) بقولنا ؟ لماذا لا يوجد هذا الشكل الغنائي في البلاد العربية مثل سوريا ولبنان ومصر وغيرها من البلاد العربية التي خضعت تحت الاحتلال العثماني مثل العراق فلماذا لا يقرأ المقام في تلك البلاد ولنقل افتراضاً انها وضعت للعراق حصراً فلماذا لا توجد هذه المقامات في العمارة والناصرية والسماوة وغيرها من

المدن التي انحصرت تحديداً في مدينة بغداد والموصل وكركوك على الرغم من اختلاف الاداءات في هذه المدن عن مدينة بغداد التي تبلور فيها هذا القالب الغنائي الكبير .

وبهذا الرأي نقترب من رأي **الحاج هاشم الرجب** عن نشأة المقام الأولى وجذوره الممتدة الى اعماق حضارة بلاد وادي الرافدين ، وان العثمانيين الذين استمرت سيطرتهم على العراق اكثر من اربعة قرون لم ينسبوا هذه المقامات لانفسهم ولا حتى الفرس في يوم من الايام فهي سميت باسم العراق لأن مبدعيها ومؤلفيها هم عراقيون متعمقون استطاعوا ان يخلدوا انفسهم وبلدهم العراق بهذا الفن العراقي الأصيل .

وتذوق السلاطين العثمانيون هذا الفن الذي تضمن مفردات اعجمية في غناء بعض المقامات لكسب ود السلاطين .

نتائج البحث :

خلص الباحث من خلال استعراض آراء الباحثين الخبراء ان جميع المصطلحات التي وردت في هذه المؤلفات التي تخص فن المقام هي اسماء لدرجات ومقامات سلمية غير المقامات التي نتناولها الان وهذا ما أكده الباحث **الحاج هاشم الرجب** الذي بينا في مستهل البحث آرائه وآراء الذين خالفوه الرأي أمثال شعوبي ابراهيم وعبد الوهاب بلال وغيرهم ، وان حلقات هذا الفن مبهمة الى حد ما في معرفة الجذور التاريخية لهذا القالب الرصين وهي مفتاح لدراسات قادمة تفتح آفاق معرفة المزيد عن هذا اللون العريق والمتجذر في الاعماق ومن خلال دراستي للآراء توصلت الى ان فن المقام العراقي هو تراث العراق الخالد في فترة الاحتلال العثماني على ايدي وحناجر عراقية استطاعت ان تبلور هذا الشكل العظيم .

* توصيات الباحث :

١- دراسة الجذور التاريخية بشكل معمق لهذا القالب .

٢- ابراز الجوانب الابداعية والجمالية في قالب المقام العراقي .

٣- تتبع لمحاته الأولى والتطورات التي جعلته بهذه الفخامة .

المصادر والمراجع:

١ - الدر النقي في علم الموسيقى : الشيخ احمد عبد الرحمن الرفاعي ، تعليق الشيخ جلال الحنفي .

٢- دليل الانغام لطلاب المقام : منشورات المركز الدولي للدراسات الموسيقى التقليدية ، شعوبي ابراهيم .

٣- الشفاء : ابن سينا ، تحقيق زكريا يوسف .

٤- الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان : عباس العزاوي .

٥- في دنيا المقامات الغناء الشعبي العراقي : ابراهيم عويد ، ١٩٨٩ .

٦- الكاس الدهاق في معرفة مقامات العراق : ج١ ، صباح جار الله .

٧- لمحات عن المقام العراقي : دائرة الفنون الموسيقية بغداد ، الشيخ جلال الحنفي .

٨- مقاصد الالحان : كمال الدين عبد القادر المراغي .

٩- المقام العراقي : منشورات مكتبة المثنى بغداد مطبعة المعارف ١٩٦١ الحاج هاشم الرجب.

١٠- المقام العراقي : دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٩٠ ، ثامر عبد الحسن العامري .

١١- المقام العراقي الى اين : الموسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ ، حسين ألأعظمي .

الدوريات (الصحف والمجلات) :

١- جريدة الثورة : العدد ٩٩٦٦ في ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٠ ، د. صبحي انور رشيد.

٢- جريدة الصباح : ملحق فنون : مقالة للدكتور هيثم شعوبي .

٣- جريدة القادسية : العدد ٤٠٨٧ في ٣ /١/١٩٩٣ الشيخ جلال الحنفي .

٤- مجلة عالم الفكر : المجلد السادس ، العدد الأول ، عبد الوهاب بلال .

٥- مجلة القيثارة : دائرة الفنون الموسيقية ، العدد ٦ سنة ٢٠٠٦ ، موفق البياتي.